
البجوكا
تأليف ورسومات: محمد جمال



مَرْحَبًا جَميعًا...

لا بُدَّ أَنَّكُمْ حَضَرْتُمُ الْيَوْمَ لِهذا الْمُؤْتَمَرِ الصَّحَفيِّ؛ لِأَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ عَنِ "الْجوكا"، وَصَدِّقوني... أَنا أَرى هذا عَلى وُجوهِكُمْ جَميعًا.

الْيَوْمَ، لَنْ أَرُدَّ عَلى أَسْئِلَتِكُمْ؛ لِأَنّي أُريدُ أَنْ تَتَّسِعَ صُدورُكُمْ لِتَسْمَعوا قِصَّةً مُخَيِّبَةً لِآمالِكُم، لكِنْ لا بُدَّ مِنْ رِوايَتِها.

أَنا -كَما تَعْلَمونَ- أُدْعى:"عَزيز تَوْفيق"، كاتِبٌ صَحَفيٌّ، وَمُكْتَشِفُ "الْجوكا" الَّذي أَتَيْتُمْ جَميعًا مِنْ أَجْلِهِ، بِالطَّبْعِ.

"تَصفيقُ جُمهورٍ وَصَفيرٌ طَويلٌ".

دَعوني أَسْتَأْنِفْ حَديثي، رَجاءً!

لَطالَما كُنْتُ دائِمًا صَحَفيًّا نَزيهًا، وَصاحِبَ كِتاباتٍ مُشَوِّقَةٍ، وَالْجَميعُ يَشْهَدُ لي بِذلِكَ... هكَذا صَنَعْتُ اسْمي. سافَرْتُ بِتاريخِ 1-4-1975 لِلْيابانِ، وَقَد مَضى ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ عَلى هذِهِ الرِّحْلَةِ.

كَلَّفَتْني الْمَجَلَّةُ، أَنْ أَنْقُلَ صورَةَ التَّطَوُّرِ الثَّقافيِّ الْيابانيِّ، وَحَفْلَ فِرْقَةِ "كوين" بِالطَّبْعِ. وَبِالْفِعْلِ، هذا ما فَعَلْتُهُ وَأَتْمَمْتُهُ بِسُرْعَةٍ وَسُهولَةٍ كَبيرَتَيْنِ



لكِنَّ الرِّحْلَةَ كانَتْ مُـمِلَّةً، وَمُـخَيِّبَةً لِلْآمالِ بِالنِّسْبَةِ إلَـيَّ؛ لِأَنَّني كُنْتُ أُريدُ أَنْ أَعودَ بِشَيْءٍ ما، مُـخْتَلِفٍ عَنِ الْأَشْياءِ الَّتي يُمْكِنُني الْكِتابَةُ عَنْها مِنَ الْـمَنْزِلِ دونَ الْـحاجَةِ إلى السَّفَرِ، إذا ما اسْتَخْدَمْتُ الْقَليلَ مِنَ الْـخَيالِ.

لَمْ أَتَوَقَّفْ عَنِ التَّجَوُّلِ في الْيابانِ، باحِثًا عَن شَيءٍ يَسْتَحِقُّ الْكِتابَةَ عَنْهُ. وَبِالْفِعْلِ وَجَدْتُ أَشْياءَ رُبَّما تَحْظى بِاهْتِمامِ الْبَعْضِ، وَكَتَبْتُ عَنْها كِتاباتٍ جَيِّدَةً.

أَخَذَني رَفيقي "رينُ" -الَّذي كانَ يُتَرْجِمُ لي كُلَّ شَيْءٍ في الرِّحْلَةِ، وَالَّذي باتَ صَديقي اليومَ- إلى سوقٍ شَعْبيَّةٍ، حَيْثُ الْيابانُ تَزْدادُ غَرابَةً.

زُرْنا أَحَدَ الدَّجّالينَ في أَثْناءِ التَّجْوالِ... كانَ ذا صيتٍ، لكِنَّهُ يُرَحِّبُ بِالزّائِرينَ في غُرْفَةٍ ضَيِّقَةٍ نِسْبيًّا. كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّ كُلَّ ما يَفْعَلُهُ هُراءٌ، لكِنَّني مَرَرْتُ عَلَيْهِ لَعَلَّهُ يُـخَيِّبُ ظَنّي.

عِنْدَما دَخَلْتُ عَلَيْهِ، قَدَّمَ لي شايًا مُرًّا سَيِّئَ الطَّعْمِ، أَشْعَرَني بِالدُّوارِ... وَبِلا سابِقِ إنذارٍ، بادَرَني بِصَوْتِهِ، قائِلًا: أَنتَ صَحَفيٌّ!

وَذَكَرَ مَعْلوماتٍ عامَّةً وَخاصَّةً عَنّي... لكِنَّني، وَبِرَغْمِ ذلِكَ، لَـمْ أُدْهَشْ إطْلاقًا ثُمَّ عَرَضَ عَلَـيَّ بَعْضَ الْـخُدَعِ، وَأَخيرًا تَكَهَّنَ لي عَنْ مُسْتَقْبَلي



وَطَلَبَ مِنّي أَنْ أَتَـمَنّى أُمْنِيَةً سَيُساعِدُني هُوَ عَلى تَـحْقيقِها... وَلِأَنَّ الْأُمْنِياتِ مَجّانِيَّةٌ كَما يَقولونَ، تَـمَنَّيْتُ أَنْ أَعودَ بِقِصَّةٍ، يَتَحَدَّثُ عَنْها الْـجَميعُ.

ثُمَّ مَرَرْنا عَلى أَحَدِ الْـمَحالِّ الْعَجيبَةِ، فَوَجَدْنا هُناكَ رَجُلًا يَصْنَعُ مُجَسَّماتٍ خَيالِيَّةً شَديدَةَ الْواقِعيَّةِ، بِجِلْدٍ وَشَعْرٍ وَعُيونٍ، وَكَأَنَّها حَقيقيَّةٌ تَـمامًا، حَتّى إِنَّني وَجَدْتُ رَعْشَةً في أَوْصالي لِبُرْهَةٍ عِنْدَما حَدَّقْتُ فيها.

أَعْجَبَني ما يَصْنَعُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أُصَوِّرَها، لكِنَّ صاحِبَ الْمَحَلِّ مَنَعَني عَلى الْفَوْرِ قائِلًا: لا تَفْعَلْ! وَلا تُصَوِّرْ أَيًّا مِنْها، إِنَّ فيها أَرْواحًا تَسْكُنُها، وَإِذا صَوَّرْتَها سَتَغْضَبُ مِنْكَ! كانَ صاحِبُ الْمَحَلِّ وَدودًا مَعَنا، وَاعْتَقَدتُ أَنَّهُ يَقولُ ذلِكَ، كَيْلا أُصَوِّرَ لِسَبَبٍ شَخْصيٍّ عِنْدَهُ، فَقَرَّرَ أَنْ يَمْنَعَنا بِطَريقَةٍ طَريفَةٍ، تُضْفي عَلى ما يَبيعُهُ نَوْعًا مِنْ أَنْواعِ الرَّهْبَةِ وَالْقَداسَةِ. أَعْجَبَني أَحَدُ نَماذِجِ الْمَخْلوقاتِ الْغَريبَةِ... كانَ شَكْلُهُ مُضْحِكًا، وَيَبْدو كَالْمُهَرِّجِ؛ بِسَبَبِ أَنْفِهِ الْأَحْمَرِ الْكَبيرِ، وَذِراعَيهِ الطَّويلَتَينِ جِدًّا، وَقَدَمَيهِ الصَّغيرَتَينِ، وَعَيْنَيْهِ الجاحِظَتَينِ، كما أَنَّ لهُ قَرْنًا عَلى شَكْلِ قُبَّعَةٍ وَلَوْنُ جِلْدِهِ أَبْيَضُ، وَفَمُهُ مُمْتَدٌّ... وَيَبدو عَلى وَجْهِهِ عَلاماتُ البَلَهِ، وَكَأَنَّ وَجْهَهُ في حالَةِ ذُهولٍ مُسْتَمِرَّةٍ، تِخالُهُ طِفْلًا صَغيرًا، وَقِرْدًا في آنٍ مَعًا.



الْآنَ كُلُّكُمْ عَرَفْتُمْ عَمّا أَتَحَدَّثُ بِالطَّبْعِ!... نَعَمْ، صَحيحٌ... أَتَحَدَّثُ عَنْ مُجَسَّمِ "الْجوكا".

تَرَكْنا الْمَحَلَّ، وَتَوَجَّهْنا أَنا وَ"رينُ" لِحَمّامِ رِجالٍ يابانيٍّ، حَيْثُ التَّدْليكُ وَ"السّاوْنا". وَلِشِدَّةِ ما وَجَدْتُ نَفْسي مُرْتاحًا غَطَطْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ في أَحَدِ حَمّاماتِ السِّباحَةِ السّاخِنَةِ.

فيما يَرى النّائِمُ، رَأَيْتُ "الْجوكا" وَسَطَ غابَةٍ، وَكُنتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَأُقَهْقِهُ عَلى مَظْهَرِهِ الْمُضْحِكِ، فَلاذَ بِالْفِرارِ وَكَأَنَّهُ تَضايَقَ، كَطِفْلٍ حَسّاسٍ شَعَرْتُ بِالنَّدَمِ حينَها، وَأَخَذْتُ أُناديهِ: "يا "جوكا!!" مَهْلًا..." وَظَلِلْتُ أَرْكُضُ وَراءَهُ في الْغابَةِ وَلكِنَّهُ كانَ سَريعًا، وَيَجْري عَلى يَدَيْهِ كَالْمُهَرِّجينَ. أَفَقْتُ وَأَنا مَفْزوعٌ مِنْ شِدَّةِ واقِعيَّةِ الْحُلْمِ، وَمُتَحَمِّسٌ مِنَ الْفِكْرَةِ الَّتي خَطَرَتْ كَالصّاعِقَةِ، وَقُلْتُ لِـ "رينَ": "هَيّا بِنا نَذْهَبْ إلى الْمَحَلِّ الَّذي مَرَرْنا بِهِ".

اشْتَرَيْنا الدُّمْيَةَ مِنَ الْمَحَلِّ بِمَبْلَغٍ مُناسِبٍ جِدًّا، بِالنِّسْبَةِ لِلْخُطَطِ الَّتي خَطَّطْتُها لَهُ، وَأَسْمَيْناهُ "جوكا"؛ لِأَنَّهُ كَالْمُهَرِّجينَ. وَ"جوكا" تَعْني مُهَرِّجًا بِالْيابانيَّةِ. كانَتْ فِكْرَةَ "رينَ"، وَأَعْجَبَني الاسْمُ.



أَخَذْناهُ في رِحْلَةٍ لِلْغابَةِ، وَصَوَّرْناهُ بَيْنَ الْأَشْجارِ، وَكَأَنَّهُ يَسيرُ عَلى يَدَيْهِ وَاقْتَرَحَ "رينُ" أَنْ نَجْعَلَ أَغْلَبَ الصُّوَرِ مُهْتَزَّةً لِتَدُلَّ عَلى الْـحَرَكَةِ، وَهذا ما فَعَلْناهُ. وَكَتَبْتُ قِصَّةً مُثيرَةً عَنْ مُقابَلَتي لِـهذا الْكائِنِ، وهي نفْسُها الَّتي قَرَأْتُموها جَميعًا. جَعَلْتُ الصّورَةَ واقِعيَّةً أَكْثَرَ.

ضَحِكْنا كَثيرًا؛ أَنا وَ"رينُ"، بَيْنَما كُنّا نُصَوِّرُ وَنُفَكِّرُ، كَيْفَ سَيَنْخَدِعُ النّاسُ! لَقَدْ كانَ مُجَرَّدُ التَّفكيرِ في الْأَمْرِ مُـمْتِعًا.

كُنْتُ أَضْحَكُ كُلَّما نَظَرْتُ إلى الصُّوَرِ، فيما أَتَـخَيَّلُ النّاسَ الَّذينَ سَيُجَنّونَ عِنْدَما يُصَدِّقونَها.

(صَوتُ تَمَلْمُلٍ وانزِعاجٍ يَسودُ القاعَةَ، فيما هَمَّ بَعضُ الحاضِرينَ بِمُغادَرَةِ المُؤتَمَرِ الصَّحَفيِّ غاضِبينَ).

- يا ناسُ! أَرْجوكُمْ، دَعوني أُكْمِلْ شَرْحي. لا تَذْهَبوا الْآنَ رَجاءً! دَعوني أُكْمِلْ رَجاءً!... إنَّ هُناكَ تَتِمَّةً، فَأَنا -لِلْحَقِّ- لَـمْ أَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ سَيَأْخُذُ هذا الْـمَسارَ. تَـمامٌ، إِذَنْ سَأُكْمِلُ... أَيْنَ كُنّا؟! آه نَعَمْ... عُدْتُ إلى الْبِلادِ، وَتَرَكْتُ دُمْيَةَ "الْـجوكا" مَعَ "رينَ"، وَقابَلْتُ رَئيسَ التَّحْريرِ، وَأَعْطَيْتُهُ ما كَتَبْتُ



فَتجاهَلَ كُلَّ ما كَتَبتُ، وَاهْتَمَّ بِصُورِ "الْجوكا"...

سَأَلَني: ما هذا الْحَيَوانُ؟...

فَأَخَبَرْتُهُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ في الْقِصَّةِ الْمَكْتوبَةِ أَمامَهُ، ويُمْكِنُهُ أَنْ يَقْرَأَهُ.

تابَعْتُ بَعْضَ الْأَعْمالِ، وَبَعْدَ ذلِكَ، طَلَبَ رَئيسُ التَّحْريرِ رُؤْيَتي مَرَّةً أُخْرى...

أَنا لا أَكْذِبُ هذِهِ الْمَرَّةَ، حَيْثُ إِنَّني عِنْدَما دَخَلْتُ مَكْتَبَهُ، صُعِقْتُ بِهِ، إِذْ كانَ رَأْسُهُ رَأْسَ "الْجوكا"!

لَمْ أُصَدِّقْ ما أَراهُ، وَتَرَكْتُهُ، وَذَهَبْتُ إِلى الحَمّامِ لِأَغْسِلَ وَجْهي.

خِفْتُ أَنْ أَصْعَدَ الْمَكْتَبَ مَرَّةً أُخْرى؛ لِذلِكَ تَرَكْتُ مَقَرَّ الْمَجلَّةِ، وَأَكَمَلْتُ يَوْمي في الْمَنْزِلِ، أُنْكِرُ عَلى نَفْسي ما رَأَيْتُ.

في الْيَوْمِ التّالي، اتَّصَلَ بي رَئيسُ التَّحْريرِ، يَقولُ إِنَّهُ رَغْمَ الْمَهْزَلَةِ الَّتي صَدَرَتْ مِنّي في مَكْتَبِهِ، إِلّا أَنَّهُ فَخورٌ بي، لِاكْتِشافي "الجوكا"؛ الحَيَوانَ المُضحِكَ الشَّكلِ، الَّذي لَمْ يَسْمَعْ عَنْهُ الْعالَمُ مِنْ ذي قَبْلُ.

كُنْتُ -لِلصِّدْقِ- لا أُريدُ أَنْ أَسْمَعَ شَيْئاً آخَرَ عَنِ "الْجوكا"، وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَتَجاهَلُ القِصَّةَ بِبَساطَةٍ؛ لِأَنَّنا لَسْنا "ناشيونال جيوغرافيك"...



لكِنَّهُ أَخْبَرَني بِأَنَّها سَتَتَصَدَّرُ الْغِلافَ؛ أي صورَةَ "الْـجوكا"! اعْتَرَضْتُ حينَها بِقَوْلي: "إنَّ هذا جُنونٌ!"، لكِنَّهُ أَغْلَقَ الْـهاتِفَ في وَجْهي.

أَخَذْتُ حُبوبي الْـمُهَدِّئَةَ، وَذَهَبْتُ إلى الْـمَجَلَّةِ... وَكانَتِ الصَّدْمَةُ هُناكَ، أَنَّ زُمَلائي في الْعَمَلِ، كانوا كُلُّهُمْ يُهَنِّئونَني عَلى قِصَّةِ "الْـجوكا"، وَقدِ اسْتُبْدِلَ وَجْهُ "الْـجوكا" بِوُجوهِهِمْ جميعًا!

تَـمالَكْتُ نَفْسي، وَاسْتَوْعَبْتُ أَنّي أَنا مَنْ يُهَلْوِسُ فَقَطْ، لا أَكْثَرَ! وَتَمَكَّنْتُ بِطَريقَةٍ ما، مِنْ تَـجاهُلِ الْأَمْرِ، وَالتَّعَرُّفِ عَلى كُلِّ شَخْصٍ مِنْ صَوْتِهِ وَمِنْ مَلابِسِهِ، وَتَـمَنَّيْتُ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ عَلى خَيْرٍ.

لكِنَّ الْكارِثَةَ حَلَّتْ، حينَما صَدَرَ الْعَدَدُ وَالْغِلافُ، وَعَلَيْهِ الصُّوَرُ، وَقِصَّتي هِيَ الْأَكْثَرُ قِراءَةً! آنَذاكَ، اكْتَشَفْتُ أَنَّ مَنْ يُصَدِّقْ قِصَّةَ "الْـجوكا" يَتَحَوَّلْ وَجْهُهُ إلى وَجْهِ "جوكا" في عَيْنَيَّ!

صِرْتُ مَعْزولًا تَـمامًا عَنْ كُلِّ الْـمُحيطينَ؛ فَكُلُّهُمْ صَدَّقوني، وَكُلُّهُمْ باتوا "جوكا"... لَقَدْ أَمْسَتْ حَياتي مَلْعونَةً بِصِدْقٍ.

لا أَدْري، رُبَّما هِيَ روحُ "الْـجوكا" وَقَدْ غَضِبَتْ عِنْدَما صَوَّرْتُها!...



لا أُصَدِّقُ أَنّي أَرْكَنُ في تَفْكيري إلى سَخافاتٍ كَهذِهِ، إلّا أَنَّ ما تَراهُ عَيْني أَسْخَفُ بِكَثيرٍ.

الْـمُبَشِّرُ بِالْأَمْرِ، عادَ وَجْهُ أَحَدِ أَصْدِقائي الـحَقيقيُّ كَما كانَ، عِنْدَما قَصَصْتُ عَلَيْهِ أَمْرَ قِصَّتي، وَما كانَ مِنْ تَلْفيقي لَـها، حَـمْدًا لِلّـهِ.

أَنا هُنا أَجْمَعُكُمْ في الْـمُؤْتَـمَرِ، لِأَقولَ لَكُمْ: "إِنَّني سَعَيْتُ لِتَكْذيبِ الْـخَبَرِ في الْـمَجَلَّةِ الَّتي أَعْمَلُ بِها، وَلكِنَّ الرَّئيسَ رَفَضَ!... وَكانَ وَجْهُهُ ما زالَ وَجْهَ "جوكا". لَـمْ يَكُنْ يُصَدِّقُني... ولَدَيهِ حُقوقُ نَشرِ القِصَّةِ، وَيَرى أَنَّ الصُّوَرَ مُقْنِعَةٌ، وَفي الْـمُقابِلِ، رَأى أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْـمُجْدي أَنْ أُنْهِيَ كِذْبَةً لاقَتْ كُلَّ هذا الرَّواجِ وَالنَّجاحِ!... وَلِلْأَسَفِ، لَـمْ يَقْتَنِعْ أَبَدًا، وَما زادَ الطّينَ بِلَّةً، أَنَّ "رينَ" اللَّعينَ أَرْسَلَ صُوَرًا جَديدَةً لِلْجوكا، لِلْمَجَلَّةِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِنَجاحِ الْقِصَّةِ... حَقًّا! لَقَدْ خَرَجَ الْأَمْرُ عَنِ السَّيْطَرَةِ.

لَـمْ أَعُدْ أَرى وَجْهَ "الْـجوكا" مُثيرًا لِلضِّحْكِ... أَصْبَحَ "الْـجوكا" هُوَ مَنْ يَضْحَكُ عَلَيَّ.

سَمِعْتُ بَعْضَ النّاسِ يَدْعونَني مَـجْنونَ الْـجوكا؛ لِأَنّي انْعَزَلْتُ بَعْدَ الْقِصَّةِ



وَلَـمْ أَعُدْ أَظْهَرُ كَسابِقِ عَهْدي.

رُبَّما هذا ما حَدَثَ بِالْفِعْلِ.

رُبَّما شايُ الدَّجّالِ الْيابانيِّ كانَ فيهِ ما جَعَلَني أُهَلْوِسُ حَتّى اللَّحْظَةِ.

رُبَّما هِيَ لَعْنَةُ روحِ الدُّمْيَةِ الَّتي أَغْضَبْتُها!

لا أَعْلَمُ حَقًّا، لكِنَّني أَعْلَمُ أَنَّني خَدَعْتُكُمْ جَميعًا.

لِذلِكَ، أُوَضِّحُ لَكُمُ الْأَمْرَ، وَأَعْتَذِرُ.

وَلِلْأَسَفِ، يَبْدو أَنَّهُ لا أَحَدَ يُصَدِّقُ تِلْكَ الْقِصَّةَ الَّتي قَصَصْتُها لِلتَّوِّ؛ لِأَنَّ وُجوهَكُمْ ما زالَتْ تَبْدو لي كَوَجْهِ "الْـجوكا".

لِـماذا أَنْتُمْ غاضِبونَ هكَذا؟ لا! لا تَنْصَرِفوا! انْتَظِروا أَرْجوكُمْ! لا تُغادِروا الْـمُؤْتَـمَرَ! أَنا أَعْرِفُ أَنَّكُمْ لَـمْ تَأْتوا هُنا إِلّا لِتَعْرِفوا أَكْثَرَ عَنِ "الْـجوكا" لكِنَّهُ... لكِنَّهُ هُناكَ عَلى وَجْهِ كُلِّ واحِدٍ مِنْكُمْ!


النِّهايَةُ